



المساجلة

مُصَاوَلَةٌ شِعْرِيَّةٌ ذَاتُ مَعْنَى أَدَقِّ مِنَ النَّقَائِضِ وَالْمُعَارَضَاتِ

المساجلاتُ جَمْعُ «مُسَاجَلَةٍ»، وَهِيَ الْمُنَاطَرَةُ وَالْمَفَاخِرَةُ. وَالْمَسَاجِلَةُ أَخْذًا مِنَ السَّجْلِ، وَالسَّجْلُ هُوَ الدَّلْوُ الْكَبِيرَةُ، أَوْ الدَّلْوُ مَمْلُوءَةٌ أَوْ مَلُوءًا.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْاِشْتِقَاقِ نَلْمَحُ مَا قُصِدَ فِي هَذَا الْمِصْطَلَحِ مِنْ إِرَادَةِ ذِكْرِ وَفَرَةٍ وَغَزَاةٍ مَا يَصْدُرُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَطْرَافِ الْمَسَاجِلَةِ، فَكُلُّ يَرُومٍ أَنْ يَكُونَ سَجْلُهُ أَكْبَرَ مِنْ سَجْلِ نَدِهِ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ: الْحَرْبُ بَيْنَ الْقَوْمِ سِجَالٌ، أَيْ يَتَبَادَلُونَ سِجَالَهَا، جَمْعُ سَجَلٍ.

الْمَسَاجِلَةُ فِي الْأَدَبِ هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْمِصَاوَلَةِ الشُّعْرِيَّةِ يَجْرِي بَيْنَ طَرَفَيْنِ تَعَدَّدَتْ أَفْرَادُ أَحَدِهِمَا أَمْ لَا، وَبِهَذَا الْمَعْنَى تَكُونُ الْمَسَاجِلَاتُ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ مِمَّا يُعْرَفُ بِ«النَّقَائِضِ» وَ«الْمُعَارَضَاتِ»، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمِصْطَلَحِينَ - النَّقَائِضِ وَالْمُعَارَضَاتِ - دَاخِلٌ فِي الْمَسَاجِلَاتِ لُغَوِيًّا، إِلَّا أَنَّ الْاِسْتِعْمَالَ حَخَصَرَ النَّقَائِضَ فِيهَا يَجْرِي بَيْنَ طَرَفَيْنِ مُنْصَرَفًا مِنَ التَّغْيِيرِ وَذَكَرَ الْمَثَالِبَ وَتَجْرِيحَ الْكِرَامَةِ وَتَدْنِيسَ الْعِرْضِ. فَهِيَ (النَّقَائِضُ)

تَقَعُ بَعْرَضِ الْهَجَاءِ بِامْتِيَّازٍ، مَعَ اخْتِلَافِ الطَّرَفَيْنِ عَلَى الْمَعَايِيرِ. أَمَّا الْمُعَارَضَاتُ فَهِيَ فِي أَصْلِهَا مُحَاذَاةٌ لِنَمُودَجٍ فَنِّيٍّ يَرَاهُ اللَّاحِقُ أَسْمَى. فَهِيَ إِقْرَارٌ لِلأَوَّلِ بِالتَّفْقُوقِ وَالتَّقَدُّمِ مِنْ أَوَّلٍ وَهَلَّةٍ. وَعَلَى ذَلِكَ تَكُونُ الْمَسَاجِلَةُ فَنَاءً مِنْ فُنُونِ التَّرَاثِ الْأَدَبِيِّ الْقَدِيمِ، إِذْ تَرْتَبِطُ اِرْتِبَاطًا وَثِيقًا بِجَمِيعِ فُنُونِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، خَاصَّةً الشُّعْرَ، وَبِالتَّحْدِيدِ فِي مَوْضُوعِهِ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ الْمَسَاجِلَةُ. وَعَادَةً مَا تَدُورُ الْمَسَاجِلَةُ حَوْلَ حَدَثٍ، مِنْ الْحُبِّ، أَوْ الْبُغْضِ، يَقَعُ لِشَاعِرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ فَنٌّ لَيْسَ بِجَدِيدٍ عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاصِرِ، بَلْ لَهُ جُذُورٌ فِي عَصُورِنَا الْأَدَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، حَيْثُ يُشَارُ إِلَى أَنَّ النَّقَائِضَ الشُّعْرِيَّةَ الَّتِي قِيلَتْ بَيْنَ الْأَخْطَلِ وَجَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ، هِيَ الَّتِي

أَسَّسَتْ لِهَذَا الْفَنِّ الَّذِي تَطَوَّرَ خِلَالَ الْعُصُورِ التَّالِيَةِ، مُتَّخِذًا فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ هَذِهِ الْعُصُورِ مَنَهْجًا وَأُسْلُوبًا لَهُ صِلَةٌ وَثِيقَةٌ وَعِلَاقَةٌ تَكَادُ تَكُونُ مُبَاشِرَةً بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نُعَدَّهَا الْمَوْسِسَةَ لِذَلِكَ الْفَنِّ.

وَلَمْ يَقْتَصِرْ هَذَا الْفَنُّ عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ مِنَ أَلْوَانِ الشُّعْرِ، وَلَكِنَّهُ تَنَقَّلَ بَيْنَ الْهَجَاءِ الْمُرِّ وَالشُّخْرِيَّةِ اللَّادِعَةِ، إِلَى الْمَازِحَةِ وَالْفُكَاهَةِ وَالْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ، وَالَّتِي دَارَتْ بَيْنَهَا جَمِيعًا مَسَاجِلَاتُ الْعَصْرِ

الْحَدِيثِ، وَكَانَتْ أْبْرَزَ صِفَاتِهَا.

وَقَدْ تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْمَسَاجِلَاتُ بِأَنْهَا عَادَةً لَا تَخْرُجُ عَنِ الذُّوقِ الْعَامِّ، حَيْثُ سَجَّلَ تَارِيخُ الْمَسَاجِلَاتِ أَنَّهَا كَانَتْ تُرَاعِي دَائِمًا الذُّوقَ الْعَامَّ وَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْأَطْرَافِ الْمَحْدُودَةِ لَهُ، وَلَا عَنِ الْأَعْرَافِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ.

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَسُودُ فِيهِ وَجْهَةٌ نَظَرٌ أَنَّ تَارِيخَ الْمَسَاجِلَاتِ يَرْجِعُ لِتِلْكَ النَّقَائِضِ الشُّعْرِيَّةِ لِلأَخْطَلِ وَجَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ، يَرَى كَثِيرُونَ أَنَّ تَارِيخَ الْمَسَاجِلَاتِ رُبَّمَا يُعُودُ لَهَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ بِزَمَنِ طَوِيلٍ، بَلْ رُبَّمَا تَكُونُ

الْمَسَاجِلَاتُ أَحَدَ الْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي شَاعَتْ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، حَيْثُ يَرَى هَؤُلَاءِ أَنَّ الْعَصْرَ الْجَاهِلِيَّ شَهِدَ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الْمَسَاجِلَاتِ الْأَدَبِيَّةِ بِوَجْهِهِ عَامًّا، وَالْمَسَاجِلَاتِ الشُّعْرِيَّةِ بِوَجْهِهِ خَاصًّا، كَتِلْكَ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً بِسُوقِ عُكَاظٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَحَافِلِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشُّعْرِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ، وَحَتَّى فِيهَا كَانَ يَدُورُ بَيْنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ فِي مَجَالِسِ السَّمْرِ.

وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْمَسَاجِلَةَ عَادَةً مَا تَأْتِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْكَالٍ، هِيَ: الْمَسَاجِلَةُ الْمُخَالَفَةُ، وَالْمَسَاجِلَةُ الْمَسَاعِدَةُ، وَالْمَسَاجِلَةُ الْمُوَافِقَةُ. وَلِكُلِّ شَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْكَالِ نَمَازِجٌ الَّتِي تَزَخَّرُ بِهَا كُتُبُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَذَاكِرَةُ الْخَفَاطِ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَكْلِ مِنْهَا رُودَةً وَعُشَاقَهُ وَمُحِبِّيهِ.

المساجلات فن

مشرع الأبواب لا

يتقيد بسقف محدود

أو زمن ثابت

وَلَا تَتَقَيَّدُ الْمَسَاجِلَةُ بِسَقْفٍ مُحْدُودٍ أَوْ زَمَنِ ثَابِتٍ، فَهِيَ دَائِمًا مُشْرَعَةُ الْأَبْوَابِ، مِمَّا يَدُلُّ دَلَالَةً أَكِيدَةً عَلَى مَدَى ثَرَاءِ هَذَا الْفَنِّ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ، وَقُدْرَتِهِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ عَلَى اسْتِيعَابِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، بَلْ وَاسْتِيعَابِ الظَّرْفِ وَالْمُنَاسِبَةِ.